تاريخ الارسال: 2018-05-22 تاريخ القبول:2018-05-31 تاريخ النشر: 2018/07/30

# روبير بلانشي و حدود النزعة الصورانية في المنطق

**الباحث : عمور ميسوم**
**جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة**
**إشراف الدكتور : محمود يعقوبي**

**تاريخ المنطق بين التأصيل والتحديث .**

يذهب كثير من المنطقيين المعاصرين و مؤرخي المنطق إلى أن العلاقة بين المنطق القديم والمنطق الحديث هي – بصرف النظر عن اعتراضات الفلاسفة التي يمكن أن ترتد في غالبها إلى لوثة النزعة السيكولوجية - علاقة امتداد وتوسيع وتدقيق .

فهي علاقة امتداد من حيث أن المنطق الحديث لم يفعل شيئا – حسبهم - غير استكمال مشروع الصورية الذي بدأه أرسطو دون ان يستكمله المنطقيون الذين أتوا بعده وذلك حين أدرك – ربما قبل الجميع - أهمية التمييز بين مادة الاستدلال وصورته لما عبر عن حدود الأقيسة بأحرف يونانية , ففصل بين صدق المضمون القضوي وصحة العلاقة الاستنتاجية كهيكل لازماني يعطي المنطق المشروعية الابستمولوجية كعلم يستجيب لشرطه الأول وهو صياغة القوانين .

و هي علاقة توسيع من حيث أن المنطق الحديث – بفضل جهازه الابستمولوجي – تمكن من الانفتاح على أصناف من الاستنتاجات لا يسمح بها منطق أرسطو القائم على علاقة اندراج بين حدود عامة . مثل منطق العلاقات والقضايا والمحمولات .

وهي أخيرا علاقة تدقيق . من حيث أن المنطق الحديث قد استبدل باللغة الطبيعية – لغة المنطق القديم – جهازا رمزيا محايدا يمكننا من تجاوز مشكلة اللفظ المشترك وتعدد الدلالة ويسهم في تقطير الجوهر المنطقي للغة وتخليصه من شوائب البلاغة والسيكولوجيا والانفعالات والتحيزات المعرفية والاستعمال السيء للغة . لان ارسطو اذا صوريا فهو ليس صورانيا ( 1). وهذا راجع الى استعمال المنطق الارسطي للغة الطبيعية التي يمكن ان تقدم خطاطات الاستدلال ولكن عجزها عن ترميز الروابط يجعلها لغة غير حسابية . فالامتداد بين المنطقين كان في الاهتمام بالصورة بدل المادة والتدقيق كان في محاولة استبدال اللغة الرمزية باللغة الطبيعية. لان المنطق الارسطي في رأيهم بدأ في مشروع الصورية ولكنه لم يستكمله .

إن هذا الجهاز الابستمولوجي للمنطق الحديث القائم على الصورنة والترميز يمكننا من دراسة أنماط الاستنباط في اي مجال كان . وهذا هو حلم المنطق الأرسطي نفسه الذي جعل المنطق تمرينا منهجيا يجب على الفيلسوف التحكم فيه من اجل ضمان صحة أحكامه واستدلالاته .

في ضوء هذه الرغبة في الامتداد والتدقيق والتوسيع تندرج بعض محاولات تبديه نظرية القياس الأرسطية التي قام بها بعض المنطقيين المعاصرين محاولين البحث عن نسق ضمني في تراث أرسطو المنطقي وفق مصادرة منهجية خاصة هي :

ضرورة الفصل بين نسق نظرية القياس وبين الفلسفة الأرسطية .

ومن نتائج هذا المصادرة تجريد القياس من جذوره الميتافيزيقية والاجتهاد في تبرير بعض خصوصيات نظرية الاستنتاج عند أرسطو تبريرا منطقيا بنائيا صرفا وتجاهل ما قد يكون لها من اصول فلسفية تتعلق بالأبعاد المعرفية للمنطق في فلسفة المعلم الأول .

ابرز مثال على ذلك هو : وضع الحدود الشخصية في منطق أرسطو , حيث يذهب المنطقي البولوني لوكازيفيتش (1878-1956) Jan Lukasiewicz إلى أنها لا تستجيب لشرط " قابلية الحمل القضوي " كأحد مقومات البناء المنطقي للقياس عند أرسطو . مع انه يمكن أن يكون هذا الشرط المنطقي في حد ذاته نابعا من فلسفة في المعرفة خاصة تقوم على قاعدة: لا علم إلا بالكليات " .

يدل هذا المثال على رغبة في إثبات استقلال نظرية القياس عن كل عدوى فلسفية **(2)** قد تصرف المنطقي عن هدفه الأول وهو التعامل مع الاستدلال كمعطى قائم بذاته ليس من ماهيته أن ينشغل بغير شروط بناء العلاقة الصورية بين أجزاء الكلام بصرف النظر عن معناها أو أصولها أو استعمالاتها .

هناك مثال أخر نجده عند لوكازيفيتش أيضا يتعلق بالصورة الحقيقية للقياس الأرسطي هل هو مخطط استنباط ؟ أم قضية لزومية شرطية ؟

يذهب المنطقي البولوني إلى أن الصورة الحقيقية للقياس الأرسطي هي استلزام شرطي صيغته الرمزية هي :

( ( ب ← أ ) ∧ (ج ← ب) ) ⟵⟵ ( ج ← أ )

على أساس أن الطرف الاول في هذه القضية اللزومية هو عطف المقدمتين وتاليها هو نتيجة القياس .

من نتائج هذا التأويل – الذي لا يحظى بالإجماع في حقل الدراسات المنطقية المعاصرة لان بعض نصوص أرسطو تبين انه لم يعرف أو لم يعتمد مفهوم الاستلزام المادي **(3)** - محاولة إثبات قانونية الصورة القياسية مما يسمح باعتبارها حقيقة منطقية قائمة بذاتها مثل أي قانون منطقي ذي طبيعة تكرارية , وهذا يعني تجريد نظرية القياس من فكرة " المبدأ الأعلى " وبالتالي إمكانية بنائها في شكل نسق استنتاجي خاص يقوم على بديهيات وقواعد تحويل وبعض قوانين منطق القضايا التي يبدو – حسب لوكازيفيتش – أن أرسطو لم يكن يجهلها تماما كما هو شائع في تاريخ المنطق .

وقد تمكن المنطقي البولوني – انطلاقا من هذه التصويبات التاريخية – من بناء نظرية الأقيسة عند أرسطو بطريقة حسابية صورانية تستجيب لشروط بناء الأنساق الاستنباطية حسب نظرية الاستنتاج الحديثة .

وهذا نموذج من احد البراهين التي يستعملها **لوكازيفيتش** في دراسته عن نظرية القياس .

**استنتاج CELARENT:**

XIII ((ق ∧ ك) ⟵⟵ ل) ⟵⟵ ((~ل ∧ ك) ⟵⟵ ~ ق) نعوض في هذه القضية

XIII. ق/ ب ا ج ، ك/ بـA أ ، ل/ أ ا ج

(28) ((ب ا ج ) ∧ ( بـA أ ) ⟵⟵ ( أ ا ج)) ⟵⟵ (~( أ ا ج) ∧ ( بـA أ )) ⟵⟵

~ (ب ا ج )

وبفصل DIMARIS الذي هو المبرهنة (23) نجد:

(~(أ ا ج) ∧ ( بـA أ )) ⟵⟵ ~(ب ا ج )

وبتعويض E بدلالة ا ، نجد :

(29) ((أ E ج) ∧ ( بـA أ )) ⟵⟵ (ب E ج)

ونجري التعويض الثاني: أ/ب ، ب/أ فنحصل على :

(30) ((ب E ج) ∧ ( أA ب)) ⟵⟵ (أ E ج) CELARENT

نلاحظ أن هذه البرهنة تعتمد على احد قوانين منطق القضايا وبالتعويض داخله بإحلال صور القضايا الحملية محل القضايا الأصلية مع استعمال قاعدتي : التعويض والعزل لكي نصل أخيرا إلى القضية المطلوبة .

هل نستطيع أن نحكم على هذا الإجراء بأنه جوهري في المنطق الأرسطي ؟ وبأن نظرية القياس الحقيقية التي خلفها المعلم الأول مختلفة تماما عن تلك التي وصلت إلينا من طرف شراحه الأرسطيين والمشائيين ؟

وبأن إثبات قانونية الصور القياسية بردها إلى قضايا لزوم شرطي والتأكيد على تناظرية علاقة الرد المنطقي بين الأقيسة الكاملة وأقيسة الشكلين الثاني والثالث تجعل الاختلاف بين هذه الاقيسة صوريا فقط ؟ وفق مبدأ تكافؤ كل القوانين وتعاوضها الحسابي الماصدقي ؟

هذا السؤال الأخير ينطبق حتى على ماعرف بمبادئ العقل التقليدية التي يمكن ان تكون من بين مبرهنات نسق منطقي صوراني وليست من بديهياته مما ينفي عنها طابعها الأولي المعروف , فهل هذه الإمكانية الاشتقاقية للصورة

الرمزية لمبدأ عدم التناقض تعني وجود استدلال لا يفترض مسبقا مبدأ عدم التناقض ؟

وفي هذا الصدد ينبغي التنبيه الى ان تفرع هذه الاسئلة الجزئية انما يبرز المجال الاشكالي الواسع الذي تحرك فيه بلانشي كناقد للمنطق الصوراني في كتابه العميق " العقل والخطاب" وهذه الاسئلة كلها تصب في الاشكال الابرز الذي دفع المنطقي الفرنسي الى انتقاد الخيار الصوراني الا وهو طبيعة المنطق . فالعلاقة بين المنطق القديم والمنطق الحديث . ومفهوم الاستدلال المنطقي هل هو اجراءات تحويلية ام تعقل طبيعي ووضع مبادئ العقل الكلاسيكية في المنطق الحديث وعلاقة المنطق بكل من الرياضيات والفلسفة . كلها تنتمي الى سؤال التعريف . تعريف او تحديد ماهية المنطق .

و للإجابة على هذا الاسئلة يجب أن ندرك أولا انها تطرح خارج الحساب المنطقي . فهي اسئلة مجالها المنطق الشارح أو فلسفة المنطق وليس المنطق نفسه .

والتحول من المنطق إلى فلسفة المنطق يعني التطرق إلى مشاكل ليست ذات طبيعة حسابية بل تتعلق بالمبادئ التوجيهية المؤسسة لتصورنا عن المنطق ولمفهوم الصدق والاستدلال . مثل علاقة المنطق بالفلسفة و علاقة الجانب النظري بالجانب التطبيقي في المنطق , ووضع الصورنة فيه بين المنهج والموضوع . والغاية المنتظرة من هذا المنطق خاصة بالنسبة للمشاكل الفلسفية التي هي بطبيعتها مشاكل تتعلق باجتماعية المعرفة الفلسفية أكثر من تعلقها بمشاكل فلسفة الرياضيات .

هذا النوع من الأسئلة يمثل نماذج من المشاكل التي مازال المنطقيون يتطارحون حولها الآراء التي تعددت واختلفت اختلافا انعكس على وحدة مفهوم المنطق نفسه . وفي هذا يقول **برتراند راسل** " انه في الفترة الحديثة من النادر أن تجد اثنين متفقين على تعريف المنطق.**(4)**

ومع ظاهرة تكثير الأنساق المنطقية المبنية بقرارات اختيارية على صعيد البديهيات والتعريفات والحدود الأولية ثم ظهور الأنساق غير الكلاسيكية التي تتجاوز مبدأ ثنائية القيمة والتي تؤدي إلى قضايا تتصادم مع " الحس المنطقي المشترك "أو الشعور المعتاد بالبداهة المنطقية

**(5)** لم يتردد بعض المنطقيين – مثل **Robert Blanché بلانشي** (1898-1975) في العقل والخطاب – في الوقوف موقفا نقديا حيال ابتلاع - التفكير المنطقي – في المناهج الصورانية التي تحول معها الاستدلال إلى حساب يجري على إشارات مفرغة من أية دلالة – ولو كانت منطقية - لقد عبر **بلانشي** عن عدد من التحفظات حيال النزعة الصورانية في مواضع متفرقة من كتبه حول نظرية الاستنتاج بوجه عام خاصة في كتابه الشهير عن - المنطق وتاريخه من أرسطو حتى راسل - أين قدم اعتراضات هامة على مشاريع تبديه القياس الأرسطي بإبراز طبيعتها التحديثية التوجيهية لا التأصيلية . إلا انه خصص لهذه التحفظات دراسة خاصة هي " العقل والخطاب " **(6)** التي اعتبرها دفاعا عن المنطق الفكري .

**الصورنة في المنطق منهج ام موضوع ؟**

ينطلق **بلانشي** من مبدأ ضرورة احترام التمايز في أي علم بين المنهج والموضوع ليؤكد بان تاريخ المنطق المعاصر يبين بان التوغل في المناهج الصورانية قد أدى في الأخير إلى طمس معالم تفكير منطقي يكون موضوع دراسة ويحظى بدرجة من الاستقلال عن مناهج تناوله . و لا يكون مقطوع الصلة تماما بما يسميه المنطق الفكري الإجرائي لصالح منهج ابتلع تدريجيا موضوعه وضيق حدوده بمصادرات منهجية ذات طبيعة تحكمية . انتهت في الأخير إلى استبعاد كل ما لا يقبل التشكل وفق متطلبات النموذج المنطقي الجديد باعتبارها تنتمي إلى مجال خارج عما هو منطقي . فهو يرفض التباس العقل أو اللوغوس بأدواته التي منها الطريقة الحسابية كمنهج للمنطق المعاصر . والتي يقوم ببنائها من اجل فحص العقل الاستدلالي والوقوف على طبيعته . ولا يجوز حسب المنطقي الفرنسي الاعتقاد بأنها تعبر عن جوهر العقل .

ورغم أن **بلانشي** لا يتردد في وصف بعض إجراءات المنطق الحديث بأنها تصدم شعورنا المعتاد بالبداهة المنطقية إلا انه يبقى محتفظا للجهاز المنطقي الصوراني بقيمته وحدوده ويرفض أن يعتبر موقفه النقدي هذا عودة إلى مسالك المنطق التقليدي أو إحياء للنزعة السيكولوجية المرفوضة في المنطق مع انه يعترف بأن المنطق القديم كان

أكثر ارتباطا بالتفكير الطبيعي من المنطق الصوراني الحديث .

إن تاريخ المنطق حسبه يبين أن التقدم الذي عرفه المنطق في الفترة الحديثة يرجع في مجمله إلى " تبدل في تعيين الغائية الجوهرية مما استلزم تغييرا عميقا في كيفية تصور موضوع دراسته "(7)

وهو في استعراضه لمراحل استحواذ النزعة الصورانية على موضوع المنطق يحاول دائما أن يحيلنا إلى منطق أخر يعتبر من ابرز المدافعين عنه وهو ما يسميه في كتابه " المنطق الفكري " . والذي يبدو انه ذهب ضحية كسر التوازن التقليدي بين المنهج والموضوع حين تحول المنهج من طريقة للدراسة إلى غاية في حد ذاته .

لكن تاريخ المنطق نفسه يبين أيضا حسب **بلانشي** بان موقفه النقدي تجاه التضحية بالتفكير المنطقي لصالح الصورية والحساب كان له سوابق تاريخية عند الفلاسفة الذين رفضوا التأويل الماصدقي للقضية الحملية الأرسطية لان الصورنة تضايف الماصدق فيما يحيل المفهوم إلى الوجهة الفكرية في تصور المنطق . . وهيمنة الرؤية الماصدقية في فهم القضية الحملية ينسحب – مع تعديل في طبيعة الماصدق من فكرة الإحالة الواقعية لأفراد الحد إلى مبدأ التعاوض الماصدقي بين القضايا – على كل تاريخ المنطق الرمزي الحديث حسب بلانشي مما أدى إلى تغليب " التعلق الدقيق بالصيغ على حساب استقصاء الطرق الفكرية التي تتحكم في هذه الصيغ "(8)

يمكن أن ندرك أكثر طبيعة هذا التمييز لو عدنا إلى مشكلة الدلالة الوجودية في المنطق الرمزي الحديث واختلاف وجهات النظر حولها .

. إن **كوتيرا Couturat** مثلا يرى أن التساهل في الدقة الاستدلالية في قوانين المداخلة والعكوس الناقصة في المنطق القديم راجع إلى الصورة اللغوية التي تحجب الصورة المنطقية للقضايا الحملية الأرسطية **(9)** التي ترتد إلى علاقة لزوم بين محمولين بالنسبة للكليات وعلاقة وصل منطقي وجودي بالنسبة للجزئيات مما قد يسمح باستنتاج كيانات لا وجود لها انطلاقا من مبدأ " من الكذب ينتج أي شيء " بالنسبة للاستلزام ومبدأ " ضرورة وجود الطرفين بالنسبة للوصل المنطقي " .

أما **لاشوليه Lachelier** فيذهب – بعد تشكيكه في فكرة الرد – الى تأويل فكري استعمالي لخصوصية الاقيسة ذوات النتائج الجزئية التي تطعن في مشروعيتها مشكلة الدلالة الوجودية . حين يقول " إن للقياس ثلاثة أشكال متمايزة تماما ، ولا يمكن أن يكون له إلا ثلاثة ، يتعذر دمج أحدها في الآخر ، كما لا يمكن وجود برهنة منطقية لا تأخذ أحد الأشكال " ، ويضيف " إذا كان الشكل الأول يمتاز بأنه هو الطريقة الوحيدة التي يمكن بها إثبات صدق قضية تلازم inhérence ، فان الشكلين الآخرين يثبتان كذب قضية من نفس النوع ، فالثاني يثبت كذب قضية موجبة والثالث يثبت كذب قضية كلية "[10]

ان الصورنة تؤدي حسب **بلانشي** الى رد الفروق الفكرية إلى فروق كمية وهذا انسحب – حسبه – ليس فقط على تعامل المنطق الحديث مع منطق الجهات بل تعداه إلى محاولة تطبيقات الطريقة الحسابية التحويلية في قراءة وفهم النصوص الفلسفية التي تتضمن مواضيع تستعصي على الصورنة والصياغة الرمزية . " لأنه مما لا طائل وراءه أيضا البت بشكل إجمالي في مشكلة فلسفية خطيرة بواسطة اعتبارات أولية في التقنية المنطقية ولهذا ينبغي الانتباه إلى التمييز بين الصعيدين فنحن نعلم عمق التعارض لدى الفلاسفة بين واقعية الجوهر والصفات ومثالية العلاقة " **(11)** والتي لا يمكن ردها إلى فروق كمية فقط .

هذه النقطة الأخيرة يتناولها **بلانشي** بشيء من التفصيل لكي يبين حالة عدم التطابق بين اللغة الطبيعية واللغة الرمزية التي تقدم كمثال للتدقيق في المنطق الرمزي الحديث .

فهذه اللغة الرمزية ميزتها الأبرز أنها اختزالية تقوم على التوحيد بين استعمالات لغوية بينها فروق واضحة توشك أن تصل أحيانا إلى التعارض مما يعني إخلالا بتعريف القضية المنطقية نفسها التي تحتمل الصدق والكذب .

ويذكر **بلانشي** في هذا الصدد تساؤل **غوبلو** Goblot : عما إذا كانت الاستعاضة الشاملة عن اللغة العادية برموز

رياضية لا تدعو الى تجاهل واستبعاد كل ما لا تستطيع هذه اللغة كتابته .

وهذه الفكرة نجدها عند أكثر من فيلسوف وباحث ; ففلاسفة اللغة العادية يمكن إيجاز اغلب اجتهاداتهم وتحليلاتهم في هذه الفكرة وهي بيان عدم تطابق منهج إعادة التركيب المنطقي مع خصوصيات اللغات الطبيعية , ما أدى بهم إلى الدعوة إلى المزاوجة بين التحليل المنطقي والوصف الاستعمالي للغة التي لا يمكن اختزال وظائفها المتعددة إلى مجرد استعمال إخباري يتكيف مع شرط قابلية التصديق والتكذيب

وترييض المنطق La mathématisation de la logique في الفترة الحديثة حسب **بلانشي** أدى ليس فقط إلى عدم الاهتمام بطريقتنا الطبيعية في الاستدلال بل إلى عرض المنطق في حالة حياد انطولوجي سرع من عملية الصورنة المكتفية بذاتها والتي نهمل فيها معاني الحدود أولا ثم الدلالات الحدسية للثوابت المنطقية نفسها ثانيا لنقع أخيرا في نوع من الاسمانية le Nominalisme والاصطلاحية le Conventionnalisme التي جعلت المنطق نوعا من اللغة الخاصة – لا يبالي بالمنطق الإجرائي – ويتحول إلى ضرب من اللعب حسب قواعد . فالمنطق حسب **كارناب** Carnap" ليس نظرية اي ليس نسقا من الاقوال على بعض الموضوعات , بل هو لغة اي نسق من الرموز ومن القواعد لاستعمال هذه الرموز " **(12)**

ما يحاول **بلانشي** التأكيد عليه هو أن الصورانية في المنطق لا يمكنها أن تكون إلا رؤية معيارية رغم أنها تطرح نفسها كبديل عن المقاربة المعيارية التقليدية للمنطق وذلك بإبرازها الطابع المتعالي المفارق للحقيقة المنطقية التي هي حسب **فريجه** Frege " مستقلة عن فعل الإدراك الإنساني نفسه " **(13)** وهنا يحدث انقلاب في مفهوم المعيارية نفسه يتناول في مستوى أول تبديل محور الاهتمام بالمنطق من مشاكل الفلسفة إلى مشاكل الرياضيات فالمنطق لم يعد أداة الفيلسوف بل أداة الرياضي الذي يعصمه من الوقوع في مفارقات تتعلق بطبيعة علمه الرياضي . فمن المعروف أن السياق العام أو الإشكالية التي تحرك في إطارها المنطق المعاصر كانت إشكالية أساس الرياضيات . ثم في مستوى ثان تتحول هذه المعيارية من ادعاء تقديم خطاطات التفكير الصحيح لتمييزها عن التفكير الخاطئ إلى فرض شروط منهجية ومصادرات مبدئية ترسم حدودا بين ماهو منطقي وماهو غير منطقي لعل أبرزها وأخطرها في الوقت ذاته – حسب **بلانشي** – هو اعتبار المنهج غاية في حد ذاته .

**من العقل إلى الحساب**

إن العقل حسب **بلانشي** يجب أن يبقى في حالة تمايز عن أدواته التي يصطنعها لدراسة الاستدلال . وهذا ما ينقذ وحدته التي تتهددها ظاهرة تكثير الأنساق الصورانية الاصطلاحية من جهة وانهيار مبدأ ثنائية القيمة مع الأنساق المتعددة القيم وهذه الوحدة تفرض علينا عدم استبدال الصناعي بالطبيعي الذي يبقى سابقا ومشرفا على إجراءات التحويل الحسابي المكتفي بذاته .

إن الخيار الصوراني بكل لوازمه الابستمولوجية يجب إلا يمثل الكلمة الأخيرة في سؤال الماهية بالنسبة للمنطق حسب بلانشي . بل يجب تطعيمه برؤية خاصة تراعي دائما علاقته بطريقتنا الطبيعية في الاستدلال التي وان كانت لا تعرض نفسها كعلم وضعي واضح المعالم فإنها ترتكز في أساسها على تبيان محدودية المنهج الصوراني البرهاني " ونتائج هذه الرؤية الفكرية لا تعبر عن نوع مغاير من المنطق بقدر ما تمثل زاوية في النظر مختلفة عن الصورانية في التعامل مع العقل الاستدلالي وغاياته .

كما أنها تتمايز عن النزعة السيكولوجية المرفوضة لدى كل المنطقيين " لأنها دراسة تهدف قبل كل شيء لا إلى بناء هياكل من الرموز ولا إلى اجتياز هذه للوصول إلى عالم من الماهيات . بل إلى عرض صورة أمينة عن منطقنا الإجرائي الطبيعي عن طريق عكسها كما تفعل المرآة **(14)**

على أساس أن " الاهتمام بالنظام العقلي في تنظيم الأفكار هو بدون شك استجابة لاهتمامات ذات طابع فلسفي وليس في هذا إتباع لعلم النفس " **(15)**

في هذه النقطة تحديدا يبدو موقف بلانشي على قدر غير بسيط من التردد والغموض , لان تحديد المنطقة التي يقع فيها هذا المنطق الفكري يبدو امرأ محفوفا بكثير من الصعوبات وحين يكتفي بلانشي بالدعوة إلى عدم الخلط

بين المنطق الفكري الفلسفي من جهة والنزعة السيكولوجية أو المنطق القديم من جهة ثانية فهذا يدل على غموض هذا المفهوم الفكري للمنطق نفسه . خاصة حين نجده يؤكد بان هناك اتفاقا في الوجهة بين المنطق الفكري والمنطق القديم ويستهل كلامه بقول مشهور لأرسطو يعتبر فيه " القياس والبرهنة متوجهين لا إلى الحديث الخارجي بل إلى الحديث الداخلي للنفس " **(16)** ويبدو أن جوهر هذا المنطق الفكري تكمن في انه رؤية نقدية أكثر من كونه رؤية تأسيسية , أي أن الجانب النقدي فيه يطغى على جانب التنظير والبناء فهو يرتد إلى مجموعة من الملاحظات النقدية العميقة لانحرافات الصورنة المكتفية بذاتها وتأثيرها غير المرغوب على دراسة العقل الاستدلالي بما هو عملية يوظفها الفيلسوف في عمله .

في هذا النقطة يتسم موقف بلانشي بنوع من التحفظ مقارنة بموقف **غريز GRIZE أو بيرلمان PERLMAN أو تولمان TOUMMEN** أو حتى موقف فلاسفة المنطق اللاصوري الذين يختلفون عن موقفه في الدعوة إلى تجاوز المنهج الصوري و الانفتاح على تحليلات لا صورية تراعي استعمالات الحجة في سياقها التواصلي الاجتماعي والسيكولوجي على أساس أن المنطق الرمزي يستند الى نموذج برهنة رياضي ديكارتي لم يسهم إلا في إبعاد المنطق عن التفكير .

ومع أن بلانشي لا يتردد في استعمال ثنائية الطبيعي والصناعي فانه حين يصل الى مسألة علمية المنطق الفكري يحاول أن يردها إلى طبيعة المصادرة المنهجية التي نعرف على أساسها مفهوم العلم " ذلك أن الإجابة على سؤال قابلية المنطق الطبيعي للدراسة العلمية تتوقف على المعنى المتراوح الاتساع الذي نعطيه لكلمة علم " **(17)** وهنا يبدو بلانشي مدركا لارتباط علمية المنطق بطابعه الصوري إلا انه يتبنى الرؤية التي تقضي " باستحالة التعبير التام عن التفكير الطبيعي من خلال أي نسق صوري " **(18)** " لأنه لو قبل هذه الصياغة لالتبس في نهاية الأمر بالمنطق الرمزي " فالعلاقة الحقيقية حسبه بين الرؤية الفكرية والمنهج الصوراني هي علاقة تكاملية تقتضي التمييز بينهما . إن للعقل مقتضياته وللحساب أيضا مقتضياته والخطأ الأكبر يكمن في تجاهل هذه الحقيقة المهمة .

**الأسلوب العقلي والأسلوب التجريبي :**

في نقطة أخرى ينتقل بلانشي بتحليلاته إلى فضاء نظرية المعرفة والابستمولوجيا عامة ويحاول إسقاط هذه التحليلات على سؤال التعريف بالنسبة لماهية المنطق . فهو يؤكد على المزاوجة بين طريقتين في التفكير أو في عمل العقل هما الأسلوب العقلي والأسلوب التجريبي على أساس أن " من الأساسي للتفكير لا أن يعرف استعمال الأسلوبين فحسب بل أن يقيم بينهما تطابقا بحيث لا يكتسب كل منهما قيمته إلا بجعله في علاقة مع الأخر فالفكرة مطلوبة لتفسير الواقعة والواقعة مطلوبة لتصوير الفكرة " **(19)**. والوقوف على حقيقة ما يسميه بلانشي بالمنطق الفكري لا يتأتى دون الاعتراف بان العقل يتحرك على صعيدين . صعيد الأفكار وصعيد الوقائع وان كل نظرة تقصي احد الصعيدين لا تؤدي إلا إلى تشويه في طبيعة العقل نفسه . وهذا التزاوج في عمل العقل لا يعني إقامة نوع من التعارض بين المجالين كما قد توحي به عبارة بلانشي لأول وهلة . إن جوهر هذه الازدواجية هو أنها تقدم تفسيرا حقيقيا لفعل المعرفة التي تقوم على نوع من العلاقة التكاملية بين ميدان الأفكار وميدان الوقائع ويبدو أن الفكرة الموجهة لهذا التأكيد كانت عند بلانشي رفض تصور منطق بدون انطولوجيا . أي رفض تحول المنطق إلى علم إشارات ليس من وظيفته أن يهتم بما يمكن أن يحيل إليه . فإذا كان للخطاب مقتضياته الخاصة فان للعقل بما هو عمل يزاوج بين الأفكار والوقائع مقتضياته الخاصة أيضا والتي لا يمكن تجاهلها تماما في بحث هو في صميمه تساؤل عن ماهية العقلانية الاستدلالية ذاتها .

يبدو إذن أن التأكيد على هذه الازدواجية المعرفية في عمل العقل تعني أن الصورنة بتقديمها مقتضيات الخطاب على مقتضيات العقل لم تضع يدها إلا على جزء من عمل العقل وهو " العقل بما هو عمل تنظيمي يجري على مستوى اللغة فقط " **(20)** فلقد " لقد بينت المصادريات L'axiomatique تماما أن الحدود الأولى للنظرية لا يتحدد معناها إلا بجملة العلاقات التي تربط بعضها ببعض والتي

تذكرها القضايا الأولى أو البديهيات فالفكرة المنعزلة الموضوعة كحد مطلق بشكل سابق لكل علاقة آمر لايمكن تصوره ولهذا كلما بقي العلم في منطقة الأفكار تمثل تقدمه في التنظيم لا في الاغتناء عن طريق إضافة حدود جديدة بل في التنسيق عن طريق وضع روابط جديدة متزايدة الإحكام " **(21)**

وهنا تعود مشكلة العلاقة بين المنطقي والحدسي إلى الظهور بشكل جديد . إن الانطلاق من مصادرة منهجية تحكمية تلغي كل دور للحدس في عمل المنطقي بدعوى إثقاله لصورية المنهج المنطقي وعرضيته وربما أبعاده السيكولوجية هل تعني أن الباحث في المنطق يكتفي ببحث خال من أي موضوع ؟ أي بحث يبقى على صعيد العلاقات بين مواضيع لا نعرف تحديدا ماهي ؟

لقد أنهى **بلانشي** عرضه النقدي للنزعة الصورانية في المنطق بطريقة كانطية , فدمج المشكلة في إطار إشكالية اعم وهي نظرية المعرفة بوجه عام .

على أن تأكيده على الطبيعة المزدوجة لعمل العقل لا يمكن أن نقف على دلالاته الحقيقية دون أن نأخذ بعين الاعتبار مفهومه لمنطق فكري فلسفي يتمايز عن منطق الرياضيين بأنه :

أعم وأوسع وأسبق وأكثر ارتباطا بالتفكير الإجرائي العملي دون أن يضحي بحلم العلمية التي لا يمكن ربطها فقط بالصياغة الصورية تماما مثلما لا يمكن التوحيد بين العلم والرياضيات ولا بين المعرفة و العلم .

في هذه النقطة الأخيرة يلمح المنطقي الفرنسي إلى بعض النقاط التي تتقاطع مع آراء فلاسفة الحجاج في الثقافة الغربية مثل **بيرلمان** . ومقارناته المستفيضة بين تصلب الجهاز الرمزي الصوراني وطابعه الاختزالي وبين مرونة الاستعمال الطبيعي وتعدده الدلالي قد توحي بأنه فكر في توسيع المنطق إلى الاهتمام بالمحاجة l'argumentation. ولكن انخراطه في مقاربة ابستمولوجية معرفية بطريقة كانطية لمشكلة المعرفة المنطقية . تدفعنا إلى القول بان خطاب بلانشي و كل الانتقادات العميقة التي وجهها لانحرافات الصورانية المعاصرة يتسم بنوع من التحفظ والحذر .

**خاتمة :**

في الاخير يمكننا القول ان بلانشي فضل التنبيه إلى ضرورة الاحتفاظ للمنطق على تميزه عن مناهجه دون أن يدعو إلى إعادة مساءلة جذرية لمفهوم العقلانية الاستدلالية آو مراعاة الأبعاد الحوارية والتواصلية في دراسة الاستدلال كما فعل **بيرلمان** في البلاغة الجديدة او **تولمان** في استعمالات الحجة او **جان بليزغريز** في " المنطق الطبيعي " او **اوزفالد ديكرو** O- Ducrot في نظرية الحجاج في اللغة . او حتى **غاستون غرانجي** G-G-Granger – في كتابه الشهير

" في سبيل معرفة فلسفية " .

إن آراء **بلانشي** يمكن أن توصف بأنها ملاحظات نقدية عميقة للمنطق الصوراني أكثر من كونها تأسيسا لرؤية منهجية جديدة . لقد فكر في المنطق من داخل نفس الإشكالية وربما بنفس الجهاز المفاهيمي ولهذا غلب على موقفه الطابع النقدي أكثر من الطابع التأسيسي . وذلك لانه لم ينتقد النزعة الصورانية بشكل جذري كما فعل رواد المنطق الطبيعي او الاستدلال الحجاجي . مثل بيرلمان في مقاله المشهور " المنطق الصوري والمنطق اللاصوري " الذي دعا فيه الى تبني نموذج معقولية جديد هو الاستدلال القانوني القضائي التأويلي بدل الاستدلال الرياضي في ميدان البحث المنطقي اذا كنا نريد ان يكون للمنطق مكان في الفلسفة والدراسات الإنسانية .

**الهوامش :**

**1**_ الصورة المنطقية :la forme logique

نقصد بالصورة المنطقية ذلك الجزء من الخطاب الذي يبقى ثابتا من وراء تغير المضامين . اي الاهتمام بالعلاقة بين اجزاء الكلام وليس بالكلام في ذاته . وبهذا المعنى نقول عن منطق ارسطو انه منطق صوري لانه يبحث في قوانين الاستدلال العامة بصرف النظر عن مضامينها المتغيرة .

الصورنة :la formalisation

هي الاستعاضة عن كل اجزاء الخطاب برموز لا نحتفظ فيها باي معنى حدسي اوحتى منطقي . فهي كمنهج للمنطق المعاصر تمثل درجة اعلى من الصورية . ويقترن هذا المصطلح بالتحويلات الحسابية في المنطق المعاصر حيث لا نهتم بما يمكن ان تدل عليه المتغيرات والروابط المنطقية التي لا تحددها إلا مبادئ النسق

الحسابي .ويكون الاستدلال بالمعنى الصوراني عملا تحويليا يمكن ان يجري بطريقة آلية ميكانيكية .

النزعة النفسانية :le psychologisme

هذا المصطلح يطلقه المنطقيون المعاصرون على طريقة الفلاسفة في النظر الى المنطق باعتباره يقدم قوانين الفكر . وهذا ما يرفضه المنطق الرمزي على اساس ان المنطق- عندهم - كعلم يجب ان يهتم فقط بضبط القوانين المجردة التي لها وجود في ذاتها مستقل حتى عن ادراكنا لها من خلال التفكير فيها . وبهذا تكون النظرة المعيارية الكلاسيكية للمنطق بوصفه يقدم خطاطات التفكير الصحيح في مقابل التفكير الخاطئ نظرة مرفوضة لان المنطق عندهم مثل الرياضيات ليس له علاقة بالعمليات العقلية التي يهتم بها علم النفس .

**2**_ يان لوكازيفيتش – نظرية القياس الأرسطية من وجهة نظر المنطق الصوري الحديث – ترجمة د- عبد الحميد صبرة – منشاة المعارف _ الاسكندرية 1972 – ص 99

**3**- *Ahmed Moussaoui - la forme logique du syllogisme Aristotélicien -études philosophiques-o.p.u-1992 - Alger.p :4*

**4**_ موساوي احمد – مكانة المنطق في الفلسفة التحليلية المعاصرة – معهد المناهج – 2007 - ص 68

**5**– *R- Blanché - la science actuelle et le rationalisme – p u f- 1967- p99*

**6** – *raison et discours – puf 1967* وقد ترجمه الدكتور محمود يعقوبي تحت عنوان " العقل والخطاب – دفاع عن المنطق الفكري – دار الكتاب الحديث – القاهرة 2005 .

**7**- *العقل والخطاب – ص16*

**8**- نفس المصدر – ص 40

**9** - ماري لويز رور – المنطق والمنطق الشارح – *ترجمة : محمود يعقوبي – دار الكتاب الحديث – القاهرة – 2009 ص 34*

**10** - Madkor, l'organon d'Aristote dans le monde arabe,,vrin,Paris, ,1969,p:213- - 9

**11**83- العقل والخطاب – ص

**12** -BLANCHE- la science actuelle et le rationalisme – p101

**13** -Bruno Leclercq – introduction à la philosophie analytique – ebook- 2008 P34-

**14**- العقل والخطاب – ص 101

**15**- نفس المصدر – ص 106

**16** - En épigraphe – raison et discours

**17**- *العقل والخطاب – ص99*

**18**- *العقل والخطاب – ص99*

**19**- العقل والخطاب – ص 111

**20**- *Gilles-Gaston Granger – La raison – que sais-je ? p-u-f – 1974 – p 54*

**21**_ العقل والخطاب – ص 120

**المراجع العربية :**

1- يان لوكازيفيتش – نظرية القياس الارسطية – ترجمة : عبد الحميد صبرة – منشاة المعارف _ الاسكندرية 1972

2- موساوي احمد – مكانة المنطق في الفلسفة التحليلية المعاصرة – معهد المناهج –الجزائر 2007

3- روبير بلانشي – العقل والخطاب – دفاع عن المنطق الفكري – ترجمة : محمود يعقوبي - دار الكتاب الحديث – القاهرة 2005

4 - ماري لويز رور – المنطق والمنطق الشارح – تر محمود يعقوبي – دار الكتاب الحديث – القاهرة – 2009.

**المراجع الفرنسية :**

- 1_ *Ahmed Moussaoui -la forme logique du syllogisme Aristotélicien -études philosophiques-o.p.u-Alger.1992*

- 2_ *Blanché- la science actuelle et le rationalisme – p u f- paris- 1967-*

*Bruno Leclercq – introduction a la philosophie analytique – ebook- 2008 -3-*

*- -4-- Gaston Granger La raison – que sais-je ? p-u-f –paris 1974*

*5_ - Madkor Ibrahim ,L'organon d'Aristote dans le monde arabe –*

*vrin,Paris, ,1969, -*